بجوار باب المقام وجامع الاطروش المتولي عليه الخراب وخان الصابون وخان الوزير. والشبابيك في هذه البنايات كلها مستطيلة في تربيعها والإطار المنعطف حولها كثير النقوش مع تساوي الخطوط فيها. وبين الاطار المذكور وتطاريف الشبّاك فُرْجةٌ تكون تارةً خلواً من النقوش وتارةً موشّاة بتصاوير في غاية الاختلاف والحسن

واذا تجاوزتَ باب المدخل تصعد الى سفح القلعة ماراً بمَعْبر واسع كثير الزوايا المستقيمة ذي ابواب عديدة. وفي طرفي الباب الاوسط قد نُقش ثعبانان هائلان فوقهما كتابات جميلة للملك الظاهر غياث الدين غازي وهو الذي حصّن القلعة وبنى على هذا المدخل برجين وجعل لهُ ثلاثة ابواب من حديد اما الباب الاخير الداخلي فقد صُوّر على جانبيه اسدان عظيمان ناتيان

وليس سفح القلعة مناسباً في حسنه لهذا المدخل. فترى في صحنها ابنيةً قد اخنى عليها الدهر فدرست محاسنها. اللهمَّ الّا الشيء النزر منها كباب الجامع القديم وفيه انواع الوشي والنقوش. بيد انَّ الذي يكشف من ثمَّ على المدينة يجد لذلك منظراً بديعاً لهُ في النفس أثرٌ موقع وخصوصاً من علوّ المنارة التي في وسط القلعة. فلا شيء يحجب من رأسها النظر الى مسافة بعيدة (ستأتي البقيّة)

فن التمثيل

للشاب الاديب نجيب افندي حيقة مدرّس اليان في كلية القديس يوسف

١

انَّ التمثيل فنّ جليل القدر رفيع الشأن « من اعظم ما أنتجتهُ قوّة التعبير. فاق على جميع الفنون الشعريّة ومن ثمَّ على كل ما جادت بهِ قرائح البشر (١) ». فانهُ يُعيد لنا اخبار السلف بطريقة شائقة لا نظير لها. اذ يحاكيهم في طبائعهم وعوائدهم واقوالهم وافعالهم محاكاةً بها يخيَّل لنا انَّهم نُشروا من مدافنهم وظهروا علينا بمظهر الاحياء على حالتهم الاصلية. كانهم لم يغيبوا من عالم الوجود. فهذا التخيل هو علّة شغفنا الشديد

١) هكذا وصفهُ شليغل (Schlegel) النقّاد الالمانيّ

بالروايات التمثيلية وتأثيرها فينا. ومما يساعد على اتقانه انّ « اصناف الصناعات تألّفت على خدمة التمثيل فتحفهُ بألطف ما عندها. فصناعة الالقاء تورد اساليب الحركات والاشارات للتعبير عمّا قصد من المعاني المختلفة فتسطر علينا في سبيلهِ بقوّة الفصاحة وتغيير الهيئة في المحاكاة . والهندسة تبذل له من اشكالها غرائب ولا تدّخر وسعًا في استخدام انواع الآلات وابواب الزينة لاجلهِ. وصناعة التصوير تبسط في معرضهِ من بدائع المشاهد ما يأخذ بالقلوب فضلًا عن الابصار. والموسيقى تجود لهُ من ضروب النغمات بما يفتن الالباب » (شليغل)

واليونان اوّل من اهتدى الى هذا الفنّ. كان لهم فيهِ اليد الطولى والمقام الاعلى. وجرى على اثرهم الرومان في مضمارهِ فلم يشقّوا لهم غبارًا. واخذهُ عنهم الاوربيّون في مستحدث القرون وتصرّفوا فيهِ حتى بلغوا في كل ابوابهِ حدّ الاعجاز. اما العرب فقد نقلوا عن اليونان جلّ العلوم وعرّب بعضهم كابن سينا. وابن رُشد وابي بشر متّى مقالة ارسطو في التمثيل فلم يُحسنوا. ولا لِخالهم اتوا على تعريبها الّا اتباعًا لسواها من المقالات. فلم يعيروها جانب العناية. فجاءت سقيمة عقيمة لا تُحلّ رموزُها. فلذا اعرض عنها العرب ولم يفطنوا الى هذا الفنّ الكريم. ولو صرفوا اليهِ اهتمامهم لنبغوا فيهِ. كيف لا وهم المعروفون بقوّة الخيال وحسن التصوّرات الشعريّة وحدّة الفؤاد وسرعة الخاطر والمقدرة على ابراز الافكار والعواطف باقوال رشيقة واساليب تسحر القلوب. ولهم في افكارهم من مكارم الاخلاق وعزّة النفس والشهامة مواضيع لا يضمّها احصاء.

ولقد توفّق بعض كتّاب العصر الى وضع روايات تمثيلية من تأليفهم او تعريبهم. وقلّ منهم مَن راعى شروطها وانتبه الى الغاية المقصودة منها. فتكاد لا تجد خمسًا منها ذات شأن يُذكر. بيد انّك ترى الناس يُقبلون على حضور التمثيل ولا اقبال الجياع على القصاع. باذلين الدوهم والدينار وصارفين من الليل الساعات الطوال في هذا السبيل غير آسفين. ولا بدع فانّهُ حوى من اسباب اللذة اوفرها. وما احسن ما قال في هذا الشأن الشاعر الالماني غوت (Gœthe). وهو من أئمة هذا الفن: « انّ مَن احبّ اسباب الهناء لا يتيسّر لهُ ايجاد محل تتوفّر فيهِ انواع المتعة كما في نادي التمثيل. فهناك لا تتكلّف شيئًا من العناء. فليس ما يجبرك على تحريك شفتيك إن رغبت في

السكوت. تجلس بكل راحة وعزّ كالامير. يُقدّم لك كلّ ما تريد. تجد جميع ما ترتاح اليه افكارك وحواسك على غاية ما تتمنّى. وهناك تلقى الشعر والتصوير والغناء وحسن المحاكاة وعلمٌ جزًا. فاذا ما اجتمعت كل هذه الامور واتّفقت في السهرة الواحدة اصناف المشاهد وضروب المحاسن ولاسيما ان كانت الرواية من الطبقة الرفيعة فقد حصلتَ بها على ليلة انس وسرور لا مثيل لها. واماً اذا كانت من سقط المتاع لا يتخلّلها سوى بعض الحسن فذلك افضل وايمُ الله من وقوفك بالنافذة او لعبك الورق تحت ضباب من دخان لفائف التبغ في حلقة من القوم ضيقة حرجة »

على ان الروايات وان تكن من جملة وسائل التهذيب ومن دواعي التمدن الصحيح فهي مع ذلك مصدر الأضرار الجسيمة ومبعث الاخطار على الاداب الشخصية والعمومية اذا خرج بها اصحابها عن شروطها المفروضة. ولذا ترى بوالو (Boileau) استاذ الشعراء وحامية الذوق السليم وكثيرين غيرهُ من الائمة يحذروننا من غوائل بعض الروايات المفسدة للاخلاق. وارباب هذا الفن انفسهم كراسين (Racine) وكورنيل (Corneille) ابي الرواية الفرنسية يحظرون علينا دخول المراسح لما يُخشى فيها من دواعي الشرّ. وكان البرنس دي كونتي (de Conti) يتمنّى لو يُلغى التمثيل لا اعتقاداً بخبث جوهره بل اشمئزازًا مما كان يصادفهُ من الروايات الخلاعية في ايامه. وروي عنهُ قوله: « ان كان احد المعاصرين لا يجد من خطر في المراسح فلانهُ قد بات مفسود الآداب ». وقد نشر ابو الخطابة بوصويت مقالة رنّانة ردًّا على من نفى اضرار الرواية التمثيلية فختمها بالثناء العاطر على من سعوا في تطهيرها من ادرانها

ويحقّ للاهلين ان يسهروا كما يفعلون على بنيهم ويمنعوهم من التردّد الى الاندية المضرة. لكن ما الحيلة والشبّان في حاجة الى بعض الملاهي. وان لم يتيسر لهم الحصول على الحلّة منها زلّت بهم القدم الى ما يورث الندم

فحبذا لو اعتنى كرام القوم بانشاء عمدة تهتمّ بتأليف او تعريب الروايات المفيدة وتمثيلها. وما اشرفها خدمةً في سبيل البلاد واجلّها نفعاً للعباد. وقد روي عن احد الامراء في القرن السابع عشر انهُ كان شديد الولع بهذا الفنّ حتى رغب في اقامة استاذ يدرّس اصوله ويرشد واضعي الروايات الى سواء السبيل كي لا يخرجوا بها عن خطّة الفضيلة. وقد رغب ايضاً في جمع نخبة من الشبّان ليقوموا بالتمثيل احسن قيام فلا

تُلقى مقاليدُهُ الى الرُّعاع الذين يحملهم على اتخاذهِ مهنةً فقرُهم او شقاوتُهم بل الى الادباء الاذكياء ذوي السيرة الحميدة والاخلاق الشريفة فتبدو في حركاتهم واقوالهم مزايا نفوسهم

اما نحن فنرى من ابناء العيال الكريمة اقبالًا على التمثيل وذلك اعلاء لهذا الفنّ وخدمةً للفقراء الذين يصرف الدخل في سبيلهم فاكم بهذه النوايا النبيلة اما التأليف فقل ذووه. فهيا معشر الادباء والشعراء وما انتم منهم بالنزر اليسير يا من تصرفون الوقت الثمين من غير جدوى وتجهدون القرائح بنظم القصائد الفارغة والمديح الكاذب الى استنهض هممكم الى المباراة في هذا المضمار الشريف. فانّ لكم فيه مجالًا فسيحًا وفوزًا مجيدًا. وما انا من يحجم عمّا دعوتكم اليه. ولكني ابدأ بنفسي فان وفّقني الله اوافيكم تباعًا بما لي من الروايات معلقًا عليها ما امكن من الحواشي في شرح او انتقاد ولكم علوّ الرأي في تقديرها قدرَها. بيدَ اني لا إخال الكثيرين من ابناء جنسنا الّا يجهلون اصول هذا الفن وشروطَهُ. ولستُ اعلم انّ احدًا من كتّاب العربية وضع فيهِ مجموعةً تذكر. وغاية ما جادوا بهِ انما كان بعض شذرات لا طائل تحتها

ولقد رغبتُ في سدّ الخلل ما امكن فاقدمتُ على هذه المهمّة الخطيرة مع ما فيها من المصاعب والمتاعب. وشرعتُ في مقالة بهذا المعنى ضمّنتها ما توفّقت الى جمعه من شوارد اقوال الائمة وما فتحهُ الله عليَّ. وقسمتها الى بابين احدهما في اصول الرواية من حيث تأليفها والثاني ادارة تمثيلها

هي خلاصة ازفّها الى اهل الذوق السليم. وعساهم ان يتكرّموا بتنبيهي الى ما فيها من مَغمز او مطعنٍ فاكون لهم من الشاكرين. لان جلّ ما ابتغي اخلاص الخدمة باتقان العمل. فان احسنتُ فالى الاحسان قصدت والّا فذلك غير ما اردت

(ستأتي البقيّة)